محاضرات في مقياس: فلسفة العلوم1

المستوى : السنتة الثالثة ليسانس – السداسي الأول-

المحاضرة الأولى: ابستمولوجيا العلم المعاصر: الماهية والاشكاليات

أ/- **مفهوم الابستيمولوجيا:** الايبستمولوجيا Epistémologie مصطلح جديد، صيغ من كلمتين يونانيتينÉpistémè ومعناها: علم، وLogos ومن معانيها: علم – نقد- نظرية –دراسة.فالايبستمولوجيا إذن ، من حيث الاشتقاق اللغوي هي (علم العلوم)أو (الدراسة النقدية للعلوم). يعررف لالاند في معجمه الفلسفي الابستمولوجيا بأنها: " فلسفة العلوم" ، ثم يضيف: " ولكن بمعنى أكثر خصوصية، فهي ليست بالضبط دراسة المناهج العلمية، هذه الدراسة التي هي موضوع المتودولوجيا، والتي تشكل جزءا من المنطق، وليست كذلك تركيبا او استباقا للقوانين العلمية، وإنما هي أساسا الدراسة النقدية لمبادئ مختلف العلوم، ولفروضها ، ونتائجها بقصد تحديد أصلها المنطقي، وبيان قيمتها وحصيلتها الموضوعية".

ب/- الابستمولوجيا وعلاقتها بالعلوم الأخرى:

1- في العلاقة بين الابستمولوجيا و نظرية المعرفة:

ففي حين تتناول نظرية المعرفة. الإبستيمولوجية بوصفها الدراسة النقدية للعلم تختلف عن

نظرية المعرفة عملية تكون المعرفة الإنسانية من حيث طبيعتها وقيمتها وحدودها وعلاقتها بالواقع، وتبرز - بنتيجة هذا التناول - اتجاهات اختبارية وعقلانية ومادية ومثالية، فإن موضوع الإبستيمولوجية ينحصر في دراسة المعرفة العلمية فقط وإذا كانت الإجابات التي تقدمها نظرية المعرفة «إطلاقية» وعامة وشاملة، فإن الإبستيمولوجية تدرس المعرفة العلمية في وضع محدد تاريخياً، من دون أن تنزع نحو إجابات مطلقة بل ترى الإبستيمولوجية في التعميمات الفلسفية لنظرية المعرفة عائقاً أمام تطور المعرفة العلمية. ذلك أن التصورات الزائفة عن المعرفة تؤثر سلبياً في مجال المعرفة العلمية، وخاصة حين تضع حدوداً للعلم. إلا أنه يوجد تجانس و حوار بينهما، يقول لالاند في ذلك: " إن الابستمولوجيا هي تمهيد لنظرية المعرفة".

2- في العلاقة الابستمولوجيا و الميتودولوجيا:

إنّ العلوم لا تتميّز فقط بموضوعاتها بل كذلك بمناهِجها، فليس هناك منهجية عامّة وَوَاحِدة تقوم عليها العلوم بمُختلف ميادينها في عملية الكشف عن الحقيقة، بل هناك مناهج عِلمية.

ـ إنّ لكُلّ علم منهج خاص به، تفرِضُهُ طبيعة موضوعه، و هذا ما يؤكِّدُه الدكتور "محمد عابد الجابري" هو أنّ ـ **الميتودولوجيا لاحِقة للعَمل العِلْمي و ليست سابقة عليه** ـ بمعنى أنّ المُتخصِّص في عِلْم مناهج البّحث ـ فيلسوفاً كان أو عالِماً ـ لا يرسُم للباحث الطريق التي يَجِبُ أن يسلُكها، بل على العكس من ذلِك، يتعقّبُهُ و يُلاحِق خطُواتِهِ

الفِكْرِية و العَمَلِية، يَصِفُها، يُحلِّلُها، و يُصنِّفها، و قد يُناقِشُها و ينتقِدُها، مِن أجل صِياغتها صِياغة نظرية منطقية تُفيد العالَم في ميدان بحثه.

هكذا، فإن كانت الأبستمولوجيا تتناول بالدراسة و النّقد مبادئ مُختلف العلوم وفروضها و نتائجها، لتحديد قيمتها و حصيلتها الموضوعية ـ كما يقول "أندري لالاند"، فإنّ الميتودولوجيا تقتصِر على دراسة المناهج العِلمية دراسة وصفية تحليلية، لبيان مراحل عملية الكشف العلمي، و طبيعة العلاقة التي تقوم بين الفكر و الواقع خلال هذه العملية. و لعلّ أبرز تلك الاختلافات يُمكِن تلخيصُها في مستويين عموماً:

الأوّل هو **مستوى التّحليل** في الميتودولوجيا إذ تتناول كل علم على حِدى، في حين أنّ الابستيمولوجيا الطامحة لأن تكون نظرية عامّة في العلوم، ترتفع إلى مستوى أعلى من التّحليل.

الثاني هو على مستوى البّحث النّقدي الرامي إلى استخلاص الفلسفة التي ينطوي عليها ضِمنياً التفكير العِلْمي. إذ مِن جملة ما تتناوله بالطّرح النقدي المناهج العِلْمِية ذاتها، لِتبحث عن ثغراتها و تعمل على مُعالجتها. وفي هذا الصّدد يَرَى " **جون بياجي**" أنّ ـ التّفكير الابستيمولوجي يولَدُ دائِماً بِسبب "أزمات" هذا العِلْم أو ذاك، أزمات تنشأ بِسَبب خطأ في المناهِج السابقة و تُعالَج باكتشاف مناهِج جديدة. ـ هكذا يُمْكِن القول أنّ ـ الأبستمولوجيا ميتودولوجيا من الدرجة الثانية.ـ

في العلاقة بين تاريخ العِلم و الأبستمولوجيا:

لنبدأ في هذا المقام كمدخل بمقولة للأستاذ "جورج كانغليم": « فكما أنّ أيّ نظرية عِلْمِية لا ترتبط بالابستيمولوجيا تُصبِح عبارة عن تأملات في فراغ، فإنّ أيّ محاولة في الابستيمولوجيا لا تريد أن تربط نفسها بتاريخ العلوم تصبح عبارة عن ظِّل بدون معنى للعلم الذي تزعم الحديث عنه.» و معنى ذلك أنّ الأبستمولوجيا في منظور بعض الفلاسفة ترتبط على نحو ضروري بتاريخ العلوم. **فما هي أكثر أنواع تاريخ العلوم ارتباطاً بالأبستمولوجيا؟**

إنّ النّوع الذي يهُمُ الأبستمولوجيا هو النّوع الذي يساعد على تبيين أُسُس الفكر العِلْمي و الذّي يعتمد على المنهج التاريخي النّقدي، و يهدف إلى دراسة التّيارات الكبرى للفِكر العِلمي، مع إعطاء كل ظاهرة أو اكتشاف مكانه في هذه التّيارات. هذا النّوع من تاريخ العِلم يدخل -كما يقول "بيار بوترو" Pierre Léon Boutroux - « إنّ تاريخ العلوم المدروس بشكل مُلائِم، يزيد من حظوظنا في اكتشاف أسُّس التفكير العِلْمي و اتّجاهاته [...] إنّه المُقدِّمة الطبيعية للفلسفة العِلْمِية. » . هذا ما أطلق عليه اسم: "التاريخ الفلسفي للعِلم"، فما يَهُمُ الأبستمولوجيا من تاريخ العلوم، هو تطور المفاهيم و طُرُق التفكير العِلْمِية، و ما ينشأ عن ذلك مِن قِيام نظريات معرفية جديدة.